



# مجلة العاصمة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة  
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

## الجناس التام والمشارك اللفظي: رؤية لغوية في الالتقاء والافتراق

د/ عبد الغني أكوريدي عبد الحميد

رئيس قسم اللغات سابقا، جامعة الحكمة، إلورن، نيجيريا

مقدمة:

نالت قضية الدلالة وتوضيح ملامحها وبيان إعجازها عناية علماء اللغة العربية من العصر الجاهلي شفاهاة ثم في العصور المتتابعة كتابة حتى شهدت أعلى قمتها في عهد التأليف. لقد حكي عن أبي زيد اللغوي أنه سأل: مالمحظبي؟ قال: هو المتكأى، فسأله وما المتكأى؟ قال: هو المتأزف قال: أنت أحمق! أنه سئم من مساعلته. وهذا الخبر استدلال على أن العربي كان يحتفظ للمعنى الواحد بألفاظ مترادفة للدلالة عليه دون تعريف. ثم إن الجناس الذي هو زينة لفظية في البلاغة العربية- خاصة إذا جاء عفويا غير متكلف- يضارع المشترك اللفظي يتجاذبان بينهما جوانب دلالية ويفترقان في أشياء. هذه جوانب الاتفاق، وتلك جوانب الاختلاف هو بغيتنا في هذه الدراسة بعد إلقاء الضوء عن ماهية الجناس والمشارك اللفظي معنى وشرحا وشواهد.

معنى الجناس لغة واصطلاحاً: الجناس هو ما يسمى بالتجنيس، والتجانس والمجانسة أيضاً، ومرد ذلك إلى أن حروف ألفاظه تتركب من جنس واحد، "هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان مع اختلاف المعنى" أو بعبارة أخرى هو "اتفاق اللفظتين في الحروف واختلافهما في المعنى (١)".

الشواهد والأمثلة على الجناس

الجناس نوعان:

أ- جناس تام، وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي: نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها .

ب- جناس غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة.

ومن أمثلة جناس غير تام قوله تعالى: {وهم يبهون عنه وينأون عنه} (سورة الأنعام: ٢٦)، الشاهد في (ينهون) و (ينأون) فيه اختلاف في أحد الحروف (الهاء والهمزة). وقول بعضهم نسب إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه:- "الدين يهدم الدين" اختلاف في إحدى الحركات (الدين) و (الدين)، ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا". فيه اختلاف في ترتيب الحروف بين (عوراتنا) و(روعاتنا). وقول الشاعر: فلا مُنعت دارٌ ولا عزَّ أهلها \*\* من الناس إلا بالقنا و القنابل. فيه اختلاف في عدد الحروف (٢).

أما الجناس التام الذي سوف نحصر فيه كلامنا، فهو الذي فيه التشابه بينه وبين ألفاظ المشترك اللفظي. ففي مثل قوله تعالى: {ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة} (الروم: ٥٥). لقد اتحد اللفظان (الساعة وساعة) غير أن المعنى فيهما مختلف، (فالساعة) الأولى مقصود بها "يوم القيامة" و(الساعة) الثانية قصد بها "الساعة الزمنية"

١ بدوي طبانة: معجم البلاغة: دار ابن حزم بيروت، ودار المنارة للنشر والتوزيع جدة، ص: ٤٧٠ وانظر كذلك R. 'Deremi  
Abubakre: Bayan in Arabic Rhetoric 1989 intec Printers Limited, Ibadan, Nigeria PP: 11-14  
٢ عبد القدوس أبو صالح وأحمد توفيق كليب: علم البيان: الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ص: ١٦٦.

أى "مجرد الوقت". وقد عرفت القيامة بأنها الساعة فصارت في عداد الحقيقة العرفية، ومن ثم فلا وجه للاعتراض بأن إطلاق الساعة على القيامة من قبيل المجاز، ونعتقد أنه ليس ثمة مانع من وجود بعض ألوان المجاز التي صارت كالحقيقة في أحد طرفي الجناس. بالإضافة إلى هذا، فإن القرينة تأتي لتحديد المعنى المراد، ولذا فإن ذهن السامع ينصرف إلى المعنى الجديد ويترك المعنى القديم الذي تنفيه قرينة المجاز، فيأخذ شكل الحقيقة تماما في هذا الأسلوب (١).

الجناس التام متنوع قد يكون بين كلمتين من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين. فالاسمين كالأية: (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة). الفعلين كقولنا: "بنى محمد دارا فبنى بأهله". ومثال الحرفين مثل: "قد يوجد الكريم وقد يعثر الجواد" فإن (قد) في الأولى للتكثير، والثانية للتقليل، فالمعنى مختلف مع اتفاق اللفظين. كما قد يكون بين مختلفين كاسم وحرف، مثل: "رب رجل شرب رب رجل آخر" فرب الأولى "حرف" والثانية "اسم للعصير المعلوم" أو بين اسم وفعل. هذا، إن الجناس زينة لفظية تزيد الكلام جمالا وروعة بشرط أن يأتي عفويا غير متكلف، وأن يكون بقدر واقتصاد، فإذا تكلفه الأديب، وحرص عليه أهمل المعنى وأفسد اللفظ. لذلك نرى كثيرا من الأدباء ينفرون من تعمه وتكلفه.

#### المشترك اللفظي:

يرد لفظ "اشترك" على صيغة (افتعل)، من شرك، أشرك بالله كفر، فهو مشرك ومشركي، ورجبنا في شرككم: فشاركناكم في النسب (٢). قال تعالى: {وأشركه في أمري} طه: ٣٢ أى أجعله شريكي فيه، شاركت فلانا: صرت شريكه. أشركت نعلي: جعلت لها شراكا، والتشريك مثله (٣). وتعني لفظة: اشترك- حسب أقوال أصحاب المعاجم- دلالات كثيرة منها:

١- اشترك الأمر: بمعنى التبس

٢- الاشتراك في الأرض، وهو أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك.

٣- مشترك، رأيت فلانا مشتركا، إذا كان يحدث نفسه كالمهموم (٤)

٤- طريق مشترك: يستوى فيه الناس.

اسم مشترك: تشترك فيه معان كثيرة كالعين ونحوها- فإنه يجمع معان كثيرة، وقوله أنشده ابن الأعرابي:

ولا يستوى المران: هذا ابن حرة \*\* وهذا ابن أخرى، ظهرها متشرك

فسره، فقال: معناه مشترك<sup>٥</sup>

تكاد أقوال علماء اللغة تتفق في مفهوم مصطلح الاشتراك اللفظي. قال العلامة السيوطي ناقلا عن ابن فارس في "فقه اللغة": "وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة (١)". وحدد الدكتور صبحي الصالح معنى المشترك اللفظي قائلا: "هو ما اتحدت صورته واختلف معناه" (٢).

- ١ عبد الواحد حسن الشيخ: البلاغة وقضايا المشترك اللفظي ١٩٨٦، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، ص: ١٩٤.
- ٢ محمد يعقوب محمد إبراهيم الفيروزبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ٣/٤٢٠-٤٢١.
- ٣ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: الصحاح، بتحقيق ضبط/ شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٢/١٢٠٣.
- ٤ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر بيروت-لبنان، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ١/٤٤٨-٤٤٩.
- ٥ محمد يعقوب محمد إبراهيم الفيروزبادي: المرجع السابق وانظر كذلك جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: المرجع السابق وانظر أيضا أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: المرجع السابق ٢/١٢٠٣.

يتبين في هذا التعريف أن عمود المشترك اللفظي هو "الدلالة" لأن اللفظ الواحد يدل على معنى واحد أو اثنين أو أكثر. ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معناه، لأن اتحاد صورته مع اتحاد استعماله ما كان لينتج إلا اتحاد معناه. ولكن الصورة وحدها تماثلت في المشترك، بينما تغيرت طرائق استعمالها إما لتغاير البيئات اللغوية وإما لتفاوت المستعملين في مدى ولوعهم بالمجاز أو إثارة الحقيقة (٣).

أهمية المشترك اللفظي في إدراك المعنى:

إن ما ورد عن أئمة اللغة في المشترك اللفظي، وما ورد من استعمالات ألفاظ المشترك في الأساليب الفصيحة والاختلاف في تفسير بعض الألفاظ ومرجعه ما ورد عن العرب الفصحاء، وأخذ القبائل العربية عن بعضها، وثبوت ظاهرة التضمين في اللغة العربية، ونسيان الأصل حين نقل أو استعمال اللفظة في المجاز في آن واحد كل هذا وذالك يقوى وجود المشترك اللفظي في اللغة العربية. نجد لوقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية الأثر والخطورة في دلالة الألفاظ وتحديدها، إذ تتوقف كثير من القضايا في الحياة على فهم النصوص فهما صحيحا دقيقا: ففي ميدان الحقوق والقانون مجال كبير للاختلاف على دلالة الألفاظ في المعاهدات الدولية، والاتفاقات التجارية والمعاملات الاقتصادية (٤) ونجد علماء الأصول الفقهية قد اهتموا كثيرا بالمبادئ اللغوية، ومسائل الألفاظ ودلالاتها، لأن استنباط الأحكام من النصوص مرتبط بتحديد الرأي في فهم بعض المسائل اللغوية، وهذا من أسباب اختلافهم في الاستنباط، كما أن فهم النصوص والألفاظ بدقة يفيدنا في معرفة العادات والعقلية والبيئة للشعوب، والوقوف على أغراضهم من واقع نصوصهم (٥) فالمشترك اللفظي سبب من أسباب اختلاف الفقهاء في الاستنباط؛ إذا احتمل اللفظ الاشتراك وعدمه فإن عدم الاشتراك يرجح على وجوده، فإذا ثبت الاشتراك فإن المجتهد يكون أمام إحدى الحالتين التاليتين:

الحالة الأولى: أن يكون للفظ المشترك معنيان:

إحدهما لغوي والآخر اصطلاحى شرعى. ومن أمثلة ذلك: ألفاظ الصلاة والزكاة والصيام والحج والطلاق، وما شابهها ففي هذه الحالة يتعين حمل اللفظ على مهناه الاصطلاحى الشرعى. وهذا مما لم هناك قرينة تصرفه إلى المعنى اللغوي. وإلا حمل عليه كقوله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} ((الأحزاب: ٥٦). فالقرينة هنا تجعل كلمة "الصلاة" مرادا بها المعنى اللغوي وهو الدعاء دون المعنى الاصطلاحى الشرعى وهو الأقوال والأفعال التي تبدأ بالتكبير وتختتم بالتسليم.

الحالة الثانية: أن يكون اللفظ مشتركا بين معنيين أو معان لغوية " وليس للشارع عرف خاص " يعين أحد المعاني التي وضع لها اللفظ المشترك. ففي هذه الحالة يجب على المجتهد تعيين المعنى المراد مستعينا بالقرائن، وحكم التشريع، ومقاصده (٦). فهناك آيات قرآنية كثيرة تؤيد المشترك اللفظي فنسوق بعضها: مثلاً:-

١- كلمة "الدنيا" تعني "القربى" في قوله تعالى: {إن أنتم بالعدوة الدنيا...} الأنفال: ٤٢ وتعني "الأولى" في قوله تعالى: {في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى...} البقرة: ٢٢٠.

- ١ السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الطبعة الرابعة، دار التراث بالقاهرة ١٣٧٨هـ - ١٩٠٩م، ٣٦٩/١.
- ٢ صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، الطبعة العاشرة ١٩٣٠م، دار العلم للملايين بيروت-لبنان، ص: ٣٠٢.
- ٣ صبحي الصالح: المرجع السابق ٨٣٠.
- ٤ المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، الطبعة السادسة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص: ١٣٤.
- ٥ شاهين، توفيق محمد: المشترك اللفظي نظرية وتطبيقاً، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص: ٢٥.
- ٦ السيوطي: المرجع السابق، ٣٩٥/١ وانظر كذلك إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٧٣م، ص: ٢١٦.

٢- كلمة: "الريح" تعنى "الهواء المتحرك" في قوله تعالى: {ولسليمان الريح} الأنبياء: ٨١ وتعني: "الغلبة" في قوله تعالى: {فتفشلوا وتذهب ريحكم} الأنفال: ٤٦.

٣- كلمة: "روح" تعنى: استراحة وراحة في قوله تعالى: {فروح وريحان...} الواقعة: ٨٩ وبينما تعنى: رحمة الله وفرجه في قوله تعالى: {ولا تنسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون} يوسف: ٨٧ (١).

نقاط الاتفاق والاختلاف بين المشترك اللفظي والجناس التام:

١. لا بد في الجنس من لفظين يتحد مبناهما ويختلف معناهما، وبالنسبة للمشارك قد يكتفي فيه باللفظ الواحد وتكون القرينة محددة للمقصود.

٢. وجدنا في الجنس أنه لا ما نع من أن يكون أحد طرفيه حقيقيا والآخر مجازيا أما المشترك فلا بد أن يكونا حقيقيين، وتبعاً لذلك فإن القرينة في الجنس تكون إحداها قرينة للحقيقة، والأخرى قرينة للمجاز، بخلاف المشترك إذ لا بد أن تكون القرينة قرينة الحقيقية سواء أكان اللفظ واحد أو متعدداً.

٣. قد يقع الجنس بين لفظين من نوع واحد أو بين لفظين من نوعين مختلفين في الاسمىة والفعلىة والحرفىة، بخلاف المشارك اللفظى فليس فيه هذا التنوع، وينتج عن هذا أن الجنس يكون في اللفظ المفرد، كما قد يكون في اللفظ المركب، أما المشارك فلا تركيب بين ألفاظه، بل هو لفظ واحد دلّ على أكثر من معنى دلالة مستوية والتفرق بالقرينة لأن كليهما مدعاة للبس فتزيل القرينة هذا اللبس.

٤. إن كليهما فن قائم برأسه- فالجناس تشابه اللفظ واختلاف المعنيين، أما المشارك اللفظى فإن اللفظ يدل على أكثر من معنى لا فرق بين معنى وآخر بل كل المعانى مستوية في الدلالة وإن كان كلاهما يدخله الاشتقاق إلا أن الاشتقاق ألصق بالمشارك دون الجنس لأنه لا يدخل ضمن حده لاتحاد المعنى والمبنى في الاشتقاق.

٥. الجنس والمشارك اللفظى لا يستحسنان إلا إذا تعاون اللفظ مع المعنى، دون تصنع وافتعال مع مراعاة النظر وتمكن القرانن. فتأتى المعانى على سجيته دون تكلف وافتعال، فيستدعى ميل السامع للإصغاء لأن السامع يصاب بالشدة والاستغراب عندما يسمع مكرراً مختلف المعنى متحد المبنى (٢).

#### خاتمة

رأينا فيما سبق من الدراسة تقسيمات للجناس في البلاغة العربية وكذلك ما للجناس التام من أمور: نوع الحروف وترتيبها وحركاتها وعددها، حتى يشبه تقريبا ما للمشارك اللفظى من صفات، سوى بعض أمور أمثال الاشتقاق الذي يلصق بالمشارك اللفظى دون الجنس. وبالتنوع بين لفظين من نوع أو بين لفظين من نوعين مختلفين في الاسمىة والفعلىة والحرفىة. وذلك مع الجنس دون المشارك اللفظى الذي لا تركيب بين ألفاظه، بل هو لفظ واحد دلّ على أكثر من معنى دلالة سواء. مع الاشتراط في الجنس أن يأتي عفواً غير متكلف وأن يكون بقدر واقتصاد. فتأتى الدلالات على طبيعتها وسجيته دون افتعال وتكلف. فيستدعى ميل السامع للإصغاء أن السامع يصاب بالشدة والاستغراب عندما يسمع مكرراً متحد المبنى مختلف المعنى. ولم يبق إلا أن نتفق أن كلا الجنس والمشارك اللفظى له دور بارز في الدلالات والثراء اللغوي كما أفاد كل واحد منهما إفادة مسهبة في التوسع الأدبي الفني.

١ عبد الحليم محمد قنيس: المرجع السابق، ص: ٦١.

٢ سليمان بن صالح القرعاوي: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: دراسة وموازنة، الطبعة الأخيرة، مصطفى الحلبي سنة ١٩٧٥م. ص: ١٩٣.